عيون الرسائل والمسائل

حكم تكفير المعين

والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة

تأليف

العلامة إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله المعين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعـــد :

فإن قضية التكفير والتضليل والتبديع قضية لها جذورها في تاريخ الطوائف الإسلامية، وكانت سـمة ظاهرة وعلامة بارزة للخوارج ومن نحا نحوهم، ثم جعلـت سُـبّة فـامتطى الكثـير ذراهـا وتمسـكوا بشعفها وتوسلوا بها للنيل ممن حقق التوحيد والمتابعة ليخلصوا من ذلـك إلى توسـيع دائـرة الإسـلام ولو جيء بالمكفرات الظاهرة، وكانت حركة التجديد والإصلاح في القرن الثاني عشر قد أظفت عـلى هذه القضية جلباب الستر بإحسان الظن بالمسلمين، وحملهم على ما انطوت عليه ضـمائرهم وتجـلى في ظاهر أعمالهم، وفرع القضية العامة، قضية تكفير المعين وهل يلزم من ذلك قيام الحجة أم لابد من فهم الحجة .

ناقش الموضوع وأبدى فيه وأعاد العلامة المحدث الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن الحسن آل الشـيخ المتوفى سنة 1319هـ وقد أعرب عـن مشربـه وأوضـح عـن معتقـد سـلفه بـإيراد الشـواهد والأدلـة الشرعية المطابقة للمصالح المرعية، فلعل القارئ الكريم يجد بغيته في طيات هذه الرسالة الموجزة .

والمؤلف لها ممن عاش في الأمصار وجاب الديار ورأى مظاهر الكفر والابتداع لدى الدهماء المنتسـبين للإسلام، وبما أن الرسالة موضوعها لا يزال حديث الساعة أحببنا نشرها مسـاهمة في التبصـير، وممـا نأسف له أننا لم نجد سوى نسخة واحدة بقلم عبد العزيز بـن فـوزان حررهـا في عصرـ المؤلـف سـنة 1312هـ، وذكر أنه نقلها من قلمه .

وبقدر الإمكان جرى تصحيح بعض الأخطاء الإملائية ونزر يسير مـن الألفـاظ النحويـة، أرجـو الله المثوبة وحسن الجزاء والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد .

إسماعيل بن سعد بن عتيق

الرياض 19/ 11/ 1408هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله الأحـد الصمد، الذي لا يستغاث في الشدائد ولا يدعى إلا إياه، فمن عبد غيره فهـو المشرـك الكفـور، بـنص القرآن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، الذي قامت به الحجة على العالمين ، فلا نبي بعده ولا رسول، أما بعد:

فقد بلغنا وسمعنا من فريق ممن يدعى العلم والدين، وممن هو بزعمه مـؤتم بالشـيخ محمـد بـن عبـد الوهاب إن من أشرك بالله وعبد الأوثان لا يطلق عليه الكفـر والشرـك بعينـه، وذلـك أن بعـض مـن شافهني منهم بذلك سمع من بعض الإخوان أنه أطلق الشرك والكفر على رجل دعـا النبـي صـلى الله عليه وسلم واستغاث به، فقال له الرجل : لا تطلق عليه حتى تُعَرِّفه، وكان هذا وأجناسـه لا يعبـأون بمخالطة المشركين في الأسفار وفي ديارهم بل يطلبون العلـم عـلى مـن هـو أكفـر النـاس مـن علـماء المشركين، وكانوا قد لفقوا لهم شبهات على دعواهم يأتي بعضها في أثناء الرسالة ـ إن شاء الله تعـالى ـ وقد غَرّوا بها بعض الرعاع من أتباعهم ومن لا معرفة عنده ومن لا يعرف حالهم ولا فـرق عنـده ولا فهم متحيزون عن الإخوان بأجسـامهم وعـن المشـايخ بقلـوبهم ومـداهنون لهـم، وقـد استوحشـوا واستُوحِشَ منهم بما أظهروه من الشبهة وبما ظهر علـيهم مـن الكآبـة بمخالطـة الفسـقة والمشرـكين، وعند التحقيق لا يُكَفرون المشرك إلا بالعموم، وفيما بينهم يتورعـون عـن ذلـك، ثـم دبـت بـدعتهم وشبهتهم حتى راجت على من هو من خواص الإخوان وذلك والله أعلم بسبب ترك كتـب الأصـول وعدم الاعتناء بها وعدم الخوف من الزيغ .

رغبوا عن رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ قدس الله روحه ـ ورسائل بنيـه فإنهـا كفيلـة بتبيـين جميع هذه الشبه جدا كما سيمر، ومن له أدنى معرفة إذا رأى حال الناس اليوم ونظر إلى اعتقاد المشايخ المذكورين تحير جدا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك أن بعض من أشرنا إليـه بحثتـه (1) عـن هـذه

1) هكذا في النسخة المطبوعة، ولعل الصواب باحثته . قاله أبو عمر الحنبلي .

المسألة فقال نقول لأهل هذه القباب الذين يعبدونها ومن فيها فعلك هذا شرك وليس هو بمشرك، فانظر ترى واحمد ربك واسأله العافية، فإن هذا الجواب من بعض أجوبة العراقي (2) التي يرد عليها الشيخ عبد اللطيف وذكر الذي حدثني عن هذا أنه سأله بعض الطلبة عن ذلك وعن مستدلهم فقال : نكفر النوع ولا نعين الشخص إلا بعد التعريف، ومستندنا ما رأيناه في بعض رسائل الشيخ محمد ـ قدس الله روحه ـ على أنه امتنع من تكفير من عبد قبة الكلواز وعبد القادر من الجهال لعدم من ينبه، فانظر ترى العجب ثم اسأل الله العافية وأن يعافيك من الحور بعد الكور، وما أشبههم بالحكاية المشهورة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أنه ذات يوم يقرر على أصل الدين ويبين ما فيه ورجل من جلسائه لا يسأل ولا يتعجب ولا يبحث، حتى جاء بعض الكلمات التي فيها ما فيها، فقال الرجل : ما هذه كيف ذلك ؟ فقال الشيخ : قاتلك الله ذهب حديثنا منذ اليوم لم تفهم ولم تسأل عنه، فلما جاءت هذه السقطة عرفتها، أنت مثل الذباب لا يقع إلا على القذر أو كما قال .

ونحن نقول : الحمد لله، وله الثناء، ونسأله المعونة والسداد، ولا نقول إلا كما قال مشايخنا الشيخ محمد في إفادة المستفيد وحفيده في رده على العراقي وكذلك هو قول أئمة الدين قبلهم ومما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، أن المرجع في مسائل أصول الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر وهو ما كان عليه الصحابة، وليس المرجع إلى عالم بعينه في ذلك، فمن تقرر عنده هذا الأصل تقريرا لا يدفعه شبهة وأخذ بشراشير قلبه، هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه في بعض مصنفات أئمته، إذ لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم .

ومسألتنا هذه وهي عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه، وأن مَنْ عبد مع الله غيره فقد أشرك الشرك الأكبر الذي ينقل عن الملة، هي أصل الأصول وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وقامت على الناس الحجة بالرسول وبالقرآن، وهكذا تجد الجواب من أئمة الدين في ذلك الأصل عند تكفير من أشرك بالله فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، لا يذكرون التعريف في مسائل الأصول، إنما يذكرون التعريف في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض المسلمين، كمسائل

. . . .

2) هو داود بن جرجيس رد عليه الشيخ عبد اللطيف فى كتابه منهاج التأسيس والتقديس .

نازع بها بعض أهل البدع كالقدرية والمرجئة، أو في مسألة خفية كالصرف والعطف وكيـف يُعَرِّفـون عُبّادَ القبورِ وهم ليسوا بمسلمين ولا يدخلون في مسمى الإسلام، وهل يبقى مـع الشرـك عمـل والله تعالى يقول : {ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} (3) {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الـريح في مكـان سـحيق} (4) {إن الله لا يغفـر أن يشرـك بـه} (5) {ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله} (6) إلى غير ذلك من الآيـات ، ولكـن هـذا المعتقـد يلـزم منـه معتقد قبيح وهو أن الحجة لم تقم على هذه الأمة بالرسول والقرآن نعوذ بـالله مـن سـوء الفهـم الـذي أوجب لهم نسيان الكتاب والرسول، بل أهل الفترة الـذين لم تـبلغهم الرسـالة والقـرآن ومـاتوا عـلى الجاهلية لا يسمون مسلمين بالإجماع ولا يستغفر لهم، وإنما اختلف أهل العلم في تعذيبهم في الآخرة، وهذه الشبهة التي ذكرنا قد وقع مثلها أو دونها لأناس في زمن الشيخ محمد رحمه الله ولكن مَنْ وقعـت له يراها شبهة ويطلب كشفها، وأما من ذكرنا فإنهم يجعلونها أصـلا ويحكمـون عـلى عامـة المشرـكين بالتعريف ويُجَهِّلون من خالفهم فلا يوقفون للصواب، لأن لهم في ذلك هوى وهو مخالطـة المشرـكين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، الله أكبر ما أكثـر المنحـرفين وهـم لا يشـعرون، ونحـن ذكرنـا هـذه المقدمة لتكون أدعى لفهم ما سيأتي من الحجج على هذه المسألة :

رسالة للشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة :

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه في الرسـالة التـي كتـب إلى أحمـد بـن عبـد الكـريم صاحب الأحساء أحد الصلحاء أولاً قبل أن يفتتن، فنذكر منها شيئا لمشابهة من رددنا عليه كصاحب الرسالة وهذا نصها :

. . . .

3) الأعراف : 40 .

4) الحج : 31 .

5) النساء : 116.

6) المائدة : 5 .

"من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن الكريم سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أما بعد : وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت وتذكر أن عليك إشكال تطلب إزالته ثـم ورد منـك رسـالة تذكر أنك عثرت على كلام شيخ الإسلام أزال عنك الإشكال، فنسأل الله أن يهديك لـدين الإسـلام، وعلى أي شيء يدل كلامه ؟ على أن من عبد الأوثان عبادة اللات والعزى وسب دين الرسول بعـد مـا شهد به مثل سب أبي جهل أنه لا يكفر بعينه ؟ بل العبارة صريحة واضحة في تكفـير مثـل ابـن فـيروز وصالح بن عبدالله وأمثالهما كفرا ظاهرا ينقل عن الملة فضلا عن غيرهما، هذا صريح واضـح في كـلام ابن القيم وفي كلام الشيخ الذي ذكرت أنه أزال عنك الإشكال في كفر من عبد الوثن الـذي عـلى قـبر يوسف وأمثاله، ودعاهم في الشدائد والرخاء وسب دين الرسول بعدما أقـر وشـهد بـه ودان بعبـادة الأوثان بعدما أقر بها، وليس في كلامي هذا مجازفة بل أنـت تشـهد بـه علـيهم، ولكـن إذا أعمـى الله القلب فلا حيلة فيه، وإنما أخاف عليك من قول الله تعالى : {ذلك بأنهم آمنـوا ثـم كفـروا فطبـع عـلى قلوبهم فهم لا يفقهون} (7) .

والشبهة التي دخلت عليك من أجل هذه البضّيعة التي في يـديك تخـاف أن تضـيع أنـت وعيالـك إذا تركت بلد المشركين، وشاك في رزق الله، وأيضا قرناء السوء، وأنت والعياذ بالله تنزل درجة أول مـرة في الشك وبلد الشرك وموالتهم والصلاة خلفهم" انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فتأمل قوله في تكفير هؤلاء العلماء وفي كفر من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأنه صريـح في كـلام ابن القيم رحمه الله وفي حكايته عن صاحب الرسالة، وحكم عليه بأية المنافقين وأن هـذا حكـم عـام، وكذلك تأمل اليوم حال كثير ممن ينتسب إلى الدين والعلم من أهل نجـد يـذهب إلى بـلاد المشركين ويقيم عندهم مدة يطلب العلم منهم ويجالسهم، ثم إذا قدم على المسلمين وقيل له : اتق الله، وتـب إلى ربك من ذلك، استهزأ بمن يقول له ذلك، ويقول : أتوب من طلـب العلـم ؟ ثـم يظهـر مـن أفعالـه وأقواله ما ينبئ عن سوء معتقـده وزيفـه، ولا عجـب مـن ذلـك لأنـه عصى الله ورسـوله بمخالطـة المشركين فعوقب، ولكن العجب من أهل الدين والتوحيد لانبساطهم مع هـذا الجنس الـذين أرادوا

. . . .

7) المنافقون : 3 .

أن يقرنوا بين المشركين والموحدين، وقد فرق الله بينهم في كتابه وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى في تلك الرسالة بعدما ذكر كثرة من ارتد عن الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم كالذين في زمن أبي بكر رضي الله عنه حكموا عليهم بالردة بمنع الزكاة، وكأصحاب علي وأهل المسجد الذين بالكوفة وبنو عبيد القداح كل هؤلاء حكموا عليهم بالردة بأعيانهم، ثم قال : وأما عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية التي لبسوا بها عليك فهي أغلط من هذا كله، ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم، فإنه صَرَّح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا عن ما يعذر به فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله تعالى : {إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه} (8) وقوله : {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون} (9) وإذا كان كلام الشيخ ليس في الردة والشرك بل في المسائل الجزيئات .

ثم قال : يوضح ذلك إن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين، فأين نِسْبَتُكَ أنه لا يكفر أحداً بعينه، وقال أيضا في كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم لما ذكر من أئمتهم شيئا من أنواع الردة والكفر، قال رحمة الله تعالى : وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال : إنه مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكَفَّر من خالفها، مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ثم تجد كثيرا من رؤسائهم وقعوا في هذه الأنواع فكانوا مرتدين، وتارة كثير منهم يرتد عن الإسلام ردة صريحة إلى أن قال : وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الرازي في عبادة الكواكب،

. . . .

8) الكهف : 57 .

9) الأنفال : 22 .

وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين، هذا لفظه بحروفه، فتأمل كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه في كفر المعين، وتأمل تكفيره رؤساءهم فلانا وفلانا بأعيانهم وردتهم ردة صريحة، وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام مع كونه من آكابر أئمة الشافعية، هل يناسب هذا من كلامه أن المعين لا يكفر ولو دعا عبد القادر في الرخاء والشدة، ولو أحب عبد الله بن عوف وزعم أن دينه حسن مع عبادته لأبى حديدة ؟

وقال شيخ الإسلام أيضا : بل كل شرك في العالم إنما حدث عن رأي بني جنسهم، فهم الآمرون بالشرك الفاعلون له ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما فقد رجح غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين جميعا، فتدبر هذا فإنه نافع جدا وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوغون الشرك ويأمرون به وهم إذا ادَّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالفعل . انتهى كلامه رحمه الله .

فتأمل كلامه واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد الذي كَذَّبْت به الله ورسوله وإجماع الأمة وتحيزت به إلى عبادة الطاغوت فإن فهمت هذا وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى مَنْ الهداية بيده، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردة ما يساوي بضّيعة تربح تومان أو نصف تومان، وعندنا أناس يجون بعيالهم ولا شحذوا وقد قال الله في هذه المسألة : {يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون} (10) {وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم} (11) انتهى كلام الشيخ المذكورة بحروفه مع الإختصار فراجعها من التاريخ (12) فإنها نافعة جدا .

والمقصود أن الحجة قامت بالرسول والقرآن فكل من سمع بالرسول وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة، وهذا ظاهر في كلام شيخ الإسلام عند قوله فمن المعلوم أن قيامها ليس أن يَفهم كلام الله

. . . .

10) العنكبوت : 56 .

11) العنكبوت : 60 .

12) لعله يقصد تاريخ ابن غنام (روضة الأفكار والأفهام) .

ورسوله مثل فهم أبي بكر الصديق، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلَى عن شيء يعذر به فهـو كـافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليم الحجة بالقرآن مع قوله تعالى : {إنا جعلنا قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا} (13) فتأمل كلامه واحضر فكرك واسأل الله الهداية .

وهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها أن الحجة قامت بالقرآن على كل من بلغه وسمعه ولو لم يفهمـه، وهـذا ولله الحمد يؤمن به كل مسلم سمع القرآن، ولكن الشياطين اجتالت أكثر الناس عـن فطـرة الله التـي فطر عباده عليها، ثم تأمل كلام شيخ الإسلام في حكمه عليهم بـالكفر وهـل قـال لا يكفـرون حتـى يُعرفوا أو لا يسمون مشركين ؟ بل فعلهم شرك كما قال من أشرنا إليه .

ثم تأمل حكاية الشيخ عن شيخ الإسلام في كلامه عـلى المتكلمـين ومـن شـاكلهم، وهـذا إذا كـان في المقالات الخفية فقد يقال أنه مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها حتى يعرف، لكن يكون ذلك في الأمور الظاهرة، إلى أن قال : أن اليهود والنصـارى والمشرـكين يعلمـون أن محمـداً بعـث بهـا وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك لـه ونهيـه عـن عبـادة أحـد سـواه مـن النبيـين والملائكة، ثم تجد كثيرا من رؤسائهم وقعوا في هذه الأنواع فكانوا مرتدين، إلى أن قال الشيخ : فتأمـل كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن في كفر المعين وتأمل تكفيره رؤساءهم فقف وتأمـل كما قال الشيخ، وهذا القدر كاف في رد هذه الشبهات وقد جعلها شيخ الإسلام قدس الله روحـه مـن الأمور الظاهرة حتى اليهود والنصارى يعلمون ذلك من دين الإسلام ومـن وصـفنا لـك عمَـى عـن ذلك ولعله يقرأها ويقررها، ولكن حيل بينه وبين تنزيلها على الواقع من الناس، وهذا له أسباب منها عدم الخوف على النفس من الزيغ والانقلاب وقد خاف السلف من ذلك، وقد يكون للإنسـان هـوى يمنعه عن معرفة الحق واستخراجه من النصوص كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في بعض رسائله التي ذكر صاحب التاريخ أنه قال : ومن ذلك أن نقرر المسـألة في أصـل الـدين سـنة كاملة على بعض الطلبة فيعرفها ويتصورها، ثم إذا وقعت لا يفهمها، قف وتأمل .

. . . .

13) الكهف : 57 .

ومن ذلك أنه ذكر أن بعض علماء الوشم قرر التوحيد في بعض مراسلته للشيخ محمد وسأله هل أصاب أم لا، فقال له : تقريرك التوحيد حق وقد أصبت لكن الشأن في العمل بعد المعرفة، فإنك لما قدم بلدكم بعض رسائل أعداء الدين في سب الدين وأهله مشيت معهم ولم تنابذهم ولم تفارقهم أو كما قال فتأمل ذلك (فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة) (14) .

تأمل كلام الشيخ رحمه الله في تنزيله على صاحب الرسالة أن المنافقين وإن تحيزوا إلى عبادة الطاغوت ثم حكم عليه بالردة . ومن أعظم ما حكى عن الشيخ أنه توقف في تكفير المعين وأن الذي منعه من الهجرة بأهله ما في يده من البضائع وخوف الفقر، ثم انظر حال من ذكرنا ومن شاكلهم في رحلتهم للمشركين وقراءتهم عليهم وطلب العلم بزعمهم منهم هذا أقروا به وهو مما علم منهم، وإلا فهم يتهمون بموالاتهم والركون إليهم .

ومن المصائب أنه إذا قدم هذا الجنس على المسلمين عاملوهم بمثل معاملتهم قبل الذهاب للمشركين من الإكرام والتحية، وقد يظهر منهم حكاية وثناء على بلاد المشركين واستهجان المسلمين وبلادهم، مما يعلم أنه لا يظهر إلا من سوء طوية ويبقون على ذلك دائما، وقليل من يستنكر ذلك منهم، وأما كون أحد يخاف عليهم الردة والزيغ بسبب أفعالهم فلا أظن ذلك يخطر ببال أحد، فكأن هذه الأحكام الشرعية التي يحكم بها على من صدر منه ما ينافيها .

حكم من جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقامت عليه الحجة : كما ذكر الشيخ رحمه الله وشيخ الإسلام رحمه الله قبله في أناس كانوا فبانوا، كما ذكر داعية أولئك المشاهير الذين تقدم ذكرهم فانظر حالك وتفكر فيما تعتقده فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة، وإلا فلا عجب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن الدليل على مسألتنا ما كتب الشيخ رحمه الله تعالى إلى عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم لما سألاه عن قول شيخ الإسلام تقي الدين قدس الله روحه : من جَحَد ما جاء به الرسول وقامت عليه الحجة فهو كافر، فأجاب بقوله إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم :

. . . .

14) بيت شعر عجزه :" وإلا فإني لا أخالك ناجيا" .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : ما ذكرتموه من كلام الشيخ كل من جحد كذا وكذا وأنكم تسألون عن هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليه الحجة أم لا ؟ فهذا من العجب العجاب، كيف تشكون في هذا المجال وقد وضحت لكم مرارا أن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، أو الذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسائل خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يُعرف، وأما أصول الدين التي وضحها الله في كتابه فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى : {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا} (15) .

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، فتأمل كلام الشيخ ونسأل الله أن يرزقك الفهم الصحيح وأن يعافيك من التعصب . وتأمل كلام الشيخ رحمه الله أن كل من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة وإن لم يفهم ذلك، وجعله هذا هو السبب في غلط من غلط وأن جعل التعريف في المسائل الخفية . ومن حكينا عنه جعل التعريف في

أصل الدين، وهل بعد القرآن والرسول تعريف ؟ ثم يقول : هذا اعتقادنا نحن ومشايخنا ! نعوذ بالله من الحوار بعد الكور، وهذه المسألة كثيرة جدا في مصنفات الشيخ محمد رحمه الله لأن علماء زمانه من المشركين ينازعون في تكفير المعين، فهذا شرح حديث عمرو بن عبسه من أوله إلى آخره كله في تكفير المعين، حتى أنه نقل فيه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من دعا عليّا فقد كفر ومن لم يكفره فقد كفر، وتدبر ماذا أودعه من الدلائل الشرعية التي إذا تدبرها العاقل المنصف فضلا عن المؤمن عرف أن المسألة وفاقية ولا تشكل إلا على مدخول عليه في اعتقاده، وقد ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في شرح التوحيد في مواضع منه أن من تكلم بكلمة التوحيد، وصلى، وزكى، ولكن خالف ذلك بأفعاله وأقواله من دعاء الصالحين والاستغاثة بهم، والذبح لهم أنه شبيه باليهود

. . . .

15) الفرقان : 44 .

والنصارى في تكلمهم بكلمة التوحيد ومخالفتها، فعلى هذا يلـزم مـن قـال بـالتعريف للمشرـكين أن يقول بالتعريف باليهود والنصارى ولا يكفرهم إلا بعد التعريف، وهذا ظاهر بالاعتبار جدا .

وأما كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى على هذه المسألة فكثير جـدا، فنـذكر مـن ذلك شيئا يسيراً لأن المسألة وفاقية والمقام مقام اختصار، فلنذكر من كلامه ما ينبهك على الشـبه التـي استدل بها من ذكرنا في الذي يعبـد قبـة الكـواز وأن الشـيخ توقـف في تكفـيره، ونـذكر أولا مسـاق الجواب، وما الذي سيق لأجله ؟ وهو أن الشيخ محمد رحمه الله ومن حكى عنه هذه القصـة يـذكرون ذلك معذرة له عن ما يدعيه خصومه عليه من تكفير المسلمين، وإلا فهي نفسها دعـوى لا تصـلح أن تكون حجة بل تحتاج لدليل وشاهد من القران والسنة، ومن فـتح الله بصـيرته وعـوفي مـن التعصـب وكان ممن اعتنى بين هذه المسألة بيانا شافيا وجزم بكفر المعين في جميـع مصـنفاته، ولا يتوقـف في شيء منها، ولنرجع إلى مساق الجواب الذي أشرنا إليه .

قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله، على قـول العراقـي : قـد كفـرتم الحـرمين وأهلهـا، فـذكر كلامـه وأجاب عنه إلى أن قال : قال العراقي : ومن المعلوم أن المنع من تكفير المسلمين الذين تكلموا في هـذا الباب وإن أخطأوا من أحق الأغراض الشرعية، وهو إذا اجتهد فله أجران إن أصاب، وإن أخطأ فلـه أجر واحد، انتهى كلام العراقي . والجواب أن يقال : هذا الكلام من جنس تحريفه الذي قررنـاه، فـإن في هذا تحرفين، أحدهما : أنه أسـقط السـؤال، وفرضـه في التكفـير في المسـائل التـي وقـع فيهـا نـزاع وخـلاف بـين أهـل السـنة والجماعـة والخـوارج والـروافض، فـإنهم كفـروا المسـلمين وأهـل السـنة بمخالفتهم فيما ابتدعوه وأصَّلوه ووضعوه وانتحلوه، فأسقط هـذا خوفـا مـن أن يقـال : دعـاء أهـل القبور وسؤالهم والاستغاثة بهم ليست من هذا الباب، ولم يتنازع فيها المسلمون بل هي مجمع على أنهـا من الشرك المكفر كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية وجعلها مما لا خلاف في التكفـير بهـا، فـلا يصـح حمل كلامه هنا على ما جزم هو بأنه كفر مجمع عليه، ولو صح حمل هذا العراقي لكان قوله قولا مختلفا وقد نزهه الله وصانه عن هذا، فكلامه متفق يشهد بعضـه لـبعض . إذا عرفـت هـذا عرفـت تحريـف العراقي في إسقاطه بعض الكلام وحذفه، وأيضا فالحذف لأصـل الكـلام يخرجـه عـن وجهـه وإرادة المقصود .

التحريف الثانى : أن الشيخ رحمه الله قال : أصل التكفير للمسلمين، وعبارات الشيخ أخرجت عباد القبور من مسمى المسلمين، كما سننقل من كلامه في الحكم عليهم بأنهم لا يدخلون في المسلمين في مثل هذا الكلام، فذكر كلاما فيما أخطأ من المسلمين في بعض الفروع إلى أن قال : فمن اعتقد في بشر أنه إله، أو دعا ميتا وطلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه وسجد له، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه انتهى .

فبطل استدلال العراقي وانهدم من أصله، كيف يجعل النهي عن تكفير المسلمين متناولاً لمن يدعو الصالحين ويستغيث بهم مع الله ويصرف لهم من العبادات ما لا يستحقه إلا الله، وهذا باطل بنصوص الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة .

ومن عجيب جهل العراقي أنه يحتج على خصمه بنفس الدعوى، والدعوى لا تصلح دليلا، فإن دعوى العراقي لإسلام عبّاد القبور تحتاج دليلا قاطعا على إسلامهم فإذا ثبت إسلامهم منع من تكفيرهم، والتفريع ليس مشكلا ومعلوم أن من كفر المسلمين لهواه كالخوارج والرافضة، أو كفر من أخطأ في المسائل الاجتهادية أصولا وفروعا فهذا ونحوه مبتدع ضال مخالف لما عليه أئمة الهدى ومشايخ الدين ومثل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لا يكفر أحداً بهذا الجنس، ولا من هذا النوع وإنما يكفر من نطق بتكفيره الكتاب العزيز وجاءت به السنة الصحيحة وأجمعت على تكفيره الأمة، كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين ويدعونهم، فإن الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم وذراريهم بعبادة غيره نبياً أو ولياً أو صنماً، لا فرق في الكفر بينهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة، وبَسْط هذا يأتيك مفصلا وقد مر بعضه .

وقال : وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفتها يكفر بعبادة القبور، وأما من أخلد إلى الأرض واتبع هواه فلا أدري ما حاله، وقد سبق من كلامه ما فيه كفاية مع أن العلامة ابن القيم رحمه الله جزم بكفر المقلدين لمشايخهم في المسائل المكفرة إذا تمكنوا من طلب الحق ومعرفته وتأهلوا لذلك وأعرضوا ولم يلتفتوا، ومن لم يتمكن ولم يتأهل لمعرفة ما جاءت به الرسل فهو عنده من جنس أهل الفترة ممن تبلغه دعوة لرسول من الرسل، وكلا النوعين لا يحكم بإسلامهم ولا يدخلون في مسمى المسلمين حتى عند من لم يكفر بعضهم وسيأتيك كلامه .

وأما الشرك فهو يصدق عليهم واسمه يتناولهم، وأي إسلام يبقى مع مناقضة أصله وقاعدته الكبرى شهادة أن لا إله إلا الله، وبقاء الإسلام ومسماه مع بعض ما ذكره الفقهاء في باب حكم المرتد أظهر من بقائه مع عبادة الصالحين ودعائهم، ولكن العراقي يفر من أن يُسَمَّى ذلك عبادة ودعاء، ويزعم أنه توسل ونداء، ويراه مستحبا وهيهات أين المفر والإله الطالب ، حيل بين العير والنزوات بما من الله به من كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبما جاء به محمد عبده ورسوله من الحكمة والهدى والبيان لحدود ما أنزل الله عليه ولا يزال الله سبحانه وتعالى يغرس لهذا الدين غرساً تقوم به حجته على عباده، ويجاهدون في بيان دينه وشرعه من ألحد في كتابه ودينه وصرفه عن موضوعه إلى آخر ما ذكر .

فتأمل قوله رحمه الله دعاء القبور وسؤالهم والإستغاثة بهم ليست من هذا الباب ولم يتنازع فيها المسلمون بل هي مجمع على أنها من الشرك المكفر، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه، وجعله مما لا خلاف بالتكفير به ولا يصح حمل كلامه هنا على ما جزم هو بأنه كفر . قلت : ويدل عليه كلامه المتقدم، أن من دعا عليّا فقد كفر .

ثم قال : التحريف الثاني الذي قال فيه أصل التكفير للمسلمين وعبارات الشيخ أخرجت عباد القبور من مسمى المسلمين فتأمل كلامه الأول والثاني أن هذا شيء مجمع عليه وأن عباد القبور ليسوا بمسلمين ولا يدخلون في مسمى الإسلام وأن هذا هو عين كلام الشيخ شيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن قال : يستتاب فإن تاب وإلا قتل بضرب عنقه ولم يقل يعرّف، ولا قال ما يكفر حتى يعرف كما ظن ذلك من لا علم عنده ومن هو مدخول عليه في أصل دينه .

ثم تأمل كلامه في رده على العراقي بقوله : فبطل استدلال العراقي وانهدم من أصله كيف يجعل النهي عن تكفير المسلمين متناولا لمن يدعو الصالحين ويستغيث بهم، قال وهذا باطل بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، إلى أن قال : وإنما يكفر الشيخ محمد من نطق الكتاب والسنة بتكفيره واجتمعت الأمة عليه، كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين ويدعونهم، فإن الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم وذراريهم بعبادة غيره، نبيا أو وليا أو صنما لا فرق

في الكفر بينهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة وبسط هذا يأتيك مفصلا وقد مر بعضه . انتهى كلامه .

قلت : وهذا من أعظم ما يبين الجواب عن قوله في الجاهل العابد لقبه الكواز لأنه لم يستثن في ذلك لا جاهلا ولا غيره وهذه طريقة القرآن تكفير من أشرك مطلقا، وتوقفه رحمه الله في بعض الأجوبة يحمل على أنه لأمر من الأمور، وأيضا فإنه كما ترى توقف مرة كما في قوله : وأما من أخلد إلى الأرض فلا أدري ما حاله ؟

فيا لله العجب كيف يترك قول الشيخ في جميع المواضع مع دليل الكتاب والسنة وأقوال شيخ الإسلام وابن القيم كما في قوله من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة، ويقبل في موضع واحد مع الإجمال . وتفطن أيضا فيما قال الشيخ عبد اللطيف فيما نقله عن ابن القيم أن أقل أحوالهم أن يكونوا مثل أهل الفترة الذين هلكوا قبل البعثة، ومن لا تبلغه دعوة نبي من الأنبياء، إلى أن قال : وكلا النوعين لا يحكم بإسلامهم ولا يدخلون في مسمى المسلمين حتى عند ما لم يكفر بعضهم، وأما الشرك فهو يصدق عليهم واسمه يتناولهم، وأي إسلام يبقى مع مناقضة أصله وقاعدته الكبرى شهادة أن لا اله إلا الله .

ولنذكر كلاما لابن القيم ذكره في طبقات المكلفين نقله عنه الشيخ "عبد اللطيف" في رده على العراقي مثل التفسير لما ذكرنا لك ويجلوا عنك بقايا هذه الشبهة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب طبقات المكلفين لما ذكر رؤوس الكفار الذين صدوا عن سبيل الله وأن عذابهم مضاعف، ثم قال : الطبقة السابعة عشرة طبقة المقلدين وجهال الكفر وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبع، يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة ولنا أسوة بهم ومع هذا فهم مسالمون لأهل الإسلام غير محاربين لهم كنساء المحاربين وخدمهم وأتباعهم الذين لم ينصبوا أنفسهم لما نصب له أولئك أنفسهم من السعي في إطفاء نور الله وهدم دينه وإخماد كلماته بل هم بمن الدواب، وقد اتفقت الأمة على هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم، وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام

المحدَث في الإسلام . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما مولود إلا وهو يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (16) فأخبر أن أبويه ينقلانه عن الفطرة إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية ولم يعتبر في ذلك غير المربى والمنشأ على ما عليه الأبوان وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة " (17) وهذا المقلد ليس بمسلم وهو عاقل مكلف والعاقل لا يخرج عن الإسلام أو الكفر، وأما من لم تبلغ الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال وهو بمنزلة الأطفال والمجانين وقد تقدم الكلام عليهم . قلت : وهذا الصنف أعنى من لم تبلغهم الدعوة هم الذين استثناهم شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقل العراقي، واستثناهم شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

قال ابن القيم : والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان برسوله واتّبَاعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معاندا فهو كافر جاهل، فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا، فإن الكافر من جحد توحيد الله تعالى وكذب رسوله إما عنادا وإما جهلا وتقليدا لأهل العناد، فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد، وقد أخبر الله تعالى في القرآن في غير موضع بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار، وأن الاتباع مع متبوعهم وأنهم يتحاجون في النار، ثم ذكر آياتٍ في هذا وأحاديث، ثم

. . . .

16) أخرجه مسلم فى كتاب القدر، باب معنى كل مولد يولد على الفطرة : (16/ 207) برقم (2658) وأخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ انظر الفتح : (3/ 260) برقم (1359) .

17) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، انظر الشرح النووي : (2/ 122) برقم (178) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب الحج ، باب ما جاء في كراهية الطواف عريانا : (3/ 222) برقم (8712)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام ، باب النهي عن صيام أيام التشريق : (1/ 548) برقم (1720) ، والنسائي في الحج ، باب قوله تعالى (خذوا زيناتكم عند كل مسجد) : (5/ 234) برقم (2958) .

قال : وهذا يدل على أن كفر من اتبعهم إنما هو مجرد اتباعهم وتقليدهم، نعم لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه، والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن والمعرض (18) مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه، فهم قسمان أحدهما مريد للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم مرشد، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، الثاني : مُعْرض لا إرادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه فالأول يقول : يا رب لو أعلم لك دين خير مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي، والثاني : راض بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته وكلاهما عاجز وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق فالأول كمن طلب الدين في الفترة فلم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزا وجهلا، والثاني كمن لم يطلب بل مات على شركه ولو كان طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض .

فتأمل هذا الموضع والله يقضي بين عباده يوم القامة بعدله وحكمته ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وعباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله تعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله، وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب وأما أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم وبهذا التفصيل يزول الأشكال في هذه المسألة وهو مبنى على أربعة أصول .

....

[18]) لعل الصواب المتمكن المعرض، قاله أبو عمر الحنبلي .

أحدها : أن الله سبحانه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه كما قال تعالى : {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} (19) وقال : {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} (20) وذكر آيات ثم قال : وقال تعالى : {وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين} (21) والظالم من عرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أو تمكن من معرفته ثم خالفه وأعرض عنه، وأما من لم يكن عنده من الرسول علم أصلا، ولا تمكن من معرفته بوجه، وعجز عن ذلك فكيف يقال أنه ظالم ؟

الأصل الثاني : أن العذاب يستحق بشيئين، أحدهما : الإعراض عن الحجة وعدم إرادته لها ولموجبها، الثاني : العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها . فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا هو الذي نفى الله التعذيب عليه حتى تقوم حجته بالرسل .

الأصل الثالث : أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتميزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه لكونه لا يفهم ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئا ولا يتمكن من التفهم وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة كما تقدم في حديث الأسود وأبي هريرة وغيرهما إلى آخره .

ثم قال الشيخ رحمه الله : فقف هنا وتأمل هذا التفصيل البديع فإنه رحمه الله لم يستثن إلا من عجز عن إدراك الحق مع شدة طلبه وإرادته له فهذا الصنف هو المراد في كلام شيخ الإسلام وابن القيم وأمثالهما من المحققين، وأما العراقي وإخوانه المبطلون فشبهوا بأن الشيخ لا يكفر الجاهل وأنه يقول هو معذور وأجملوا القول ولم يفصلوا وجعلوا هذه الشبهة ترسا يدفعون به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

. . . .

19) سورة الإسراء : آية رقم 15 .

20) سورة النساء : آية رقم 165 .

21) سورة الزخرف : آية رقم 76 .

وصاحوا على عباد الله الموحدين كما جرى لأسلافهم من عبّاد القبور والمشركين وإلى الله المصير، وهـو الحاكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، إلى آخر ما ذكر الشيخ رحمه الله .

فتأمل إن كنت ممن يطلب الحق بدليله، وإن كنت ممن صمم على الباطل وأراد أن يستدل عليه بما أجمل من كلام العلماء فلا عجب، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

ذي الحجة سنة الحجة 1312هـ نقل من خط المصنف رحمـه الله تعـالى بيـده فجـزاه الله عـن الإسـلام والمسلمين خيراً .

بقلم الفقير إلى الله تعالى عبده وابن عبده وابن أمته عبد العزيز الفوزان غفر الله لـه ولوالديـه ولمشـايخه ولجميع المسلمين وأئمتهم الذين حفظ الله بهم الدين وأرغم بهم أنوف أهل الزيغ في كل وقت وحين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسـليما كثـيرا إلى يـوم الدين .

بسم الله الله الرحمن الرحيم

من إسحاق بن عبد الرحمن إلى من يراه من الإخوان وكافة الرؤساء في ساحل عمان ومن يليهم من أهل فارس وجعلان، من المنتسبين إلى السنة والإيمان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد :

فإن الله تعالى أوجب علينا التعاون على البر والتقوى ، والتناصر في ذاته على الأعداء، وكل إنسان عليه من العبودية بحسبه،فحيث لا عذر عن قبول الحق فكذلك لا عذر عن تبليغه، وقد سبقت الإشارة من بعض الإخوان بطلب النصيحة وما لا يدرك كله لا يترك كله ، فمن أجل ذلك أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، والتقوى كلمة جامع لخصال الخير أمراً ونهيا وأعظمها مشقة، عداوة من حاد الله ورسوله وألحد في أسمائه وصفاته وأشرك في توحيده، وتعلمون أن سر الخلق والأمر هو أن يعرف الله بأسمائه وصفاته ويقصد وحده سبحانه بأنه بأنواع العبادة وأن لا يشرك به أحد سواه كائناً من كان، وأن يقوم الناس بالقسط، فأنزل الحديد آلة يستعان بها على جهاد من خرج عن القسط .

وقد لاح في أوائل هذا القرن علم التوحيد وأغمدت سيوف الجهاد في هامات من حاد عنه من شيع الكفر والتنديد، وأقيمت الحدود الشرعية في كافة بلدان المسلمين، وحصل القيام التام بوجبات الدين، وذلك أمر لا يخفى وحصل لأسلافكم من التعاون على ذلك من أرغم الله به أنوف الأعداء حتى صار دياركم معقل الإسلام ومهاجر السادات الأعلام، ولم يزل في هاتيك الجهات لا زال فيها للحق الدعاة، من يلهج بتحقيق توحيد المرسلين ويرشد به الحيارى الجاهلين، وينكر أوضاع الجهمية المبتدعين الملحدين في أسماء رب العالمين، فالتبس هذا الأصل على كثير من الخلق حتى آن اندراسه، وانقلع إلا ما شاء الله أساسه، وكثر الطعن في الدعوة الإسلامية والملة الحنيفية المحمدية، وفاه بين العوام أن من تكلم بالشهادتين فهو من أهل الإسلام، وخفى عليهم ما وضعت له من إخلاص العبادة لله والكفر بما يعبد من دون الله، ونودي بالمسالمة لمن لاذ بالأوهام وألحد في الدين وعادى المسلمين ـ عمياء صماء ظلماء يحاول دعاتها إطفاء ما استبان من هذا الدين المتين، ويأبى الله أن يتم نوره ويعلي كلمته .

التحذير من موالاة أعداء الله :

وفي خلال تلك الفرقة حصل الإبتلاء بتداعي الأمم علينا عقوبة إعراضنا عن هذا الأمر، وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" قال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : "بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، لينزعن الله عن صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن" قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : "حب الدنيا وكراهة الموت" (22) .

فدل الحديث على أن الرغبة في الدنيا والإعراض عن الأخرى سبب الهلاك والدمار وتسلط الأعداء وفشل الأعمال . وعن ثوابان أيضاً مرفوعاً : "ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان" (23) وقد اتسعت الفتنة بهم وعظم الخطب ودب الشوم على عقائد أهل الإسلام والإيمان، والتحق بهم من ليس له بصيرة ولا قدم صدق ولا معرفة بالحق، وظنوا أنهم بالتزامهم بعض أركان الإسلام من دون هذا الركن الأعظم على هدى مستقيم، وليس الأمر كذلك بل هو كما قال أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله : إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد ولا إلى ضجيجهم بلبيك ولكن انظر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة .

فاللجا اللجا إلى حصن الدين والاعتصام بحبل الله المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر الحذر من أعدائه المخالفين، فأفضل القرب إلى الله تعالى، مقت من حاد الله ورسوله وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان وما ينجي العبد من النيران، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما

. . . .

22) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام : (4/ 111) برقم (4297) ، وأحمد في المسند (5/ 350) برقم 22393) .

23) أخرجه الترمزي كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون : (4/ 499) برقم (2219) وأبو داود كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها : (4/ 98) برقم (4352) وابن ماجة كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن : (2/ 1304) .

سواهما فلا بد أن ينقاد لأوامر القرآن والسنة ويتبرأ من كل معتقد يخالف ما عليه السلف الصالح من سادات الأمة، وهل زال الإسلام وغيرت الأحكام وابتدع في الدين ما لم يأذن به الملك العلام إلا بدعاة أبواب جهنم يصدون الناس عن دينهم، فاتقوا الله عباد الله ولا تذهب بكم الدنيا كل الذهاب فإنها رأس كل خطيئة، وليست من أولها إلى آخرها عوضا والله عن ذرة من ذرات الآخرة .

وكلما صدر ممن يدعى الإسلام من الإعراض عن هذا الأمر وتَوَلّي المشركين والطعن على المسلمين واستعجال الراحة والرضا عن النفس والتزيين هو بعينه نفس للعقوبة وسبب الخذلان ومركب الندم والهوان، قال تعالى : {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} (24) فكيف يخلد إلى الدنيا ويصادق الأعداء وينسى عهود الحمى من يؤمن بالله واليوم الأخر ويخاف سوء الحساب، قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين} (25) .

قال حذيفة رضي الله عنه : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانيا وهو لا يشعر، وتلا هذه الآية . وعاتب عمرُ رضي الله عنه أبا موسى في جعل النصراني كاتبا، وقال : مالَكَ ولَهُ قاتلك الله، أما اتخذت حنيفا مسلما ؟ وتلا هذه الآية وهذا مع استخدامه، فكيف بموالاته وإكرامه، وقد نفى الله تعالى الإيمان عمن وادّ المشركين، فقال تعالى : {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله} (26) الآية .

ومن المعلوم أن من وادَّ أحداً فهو عنه راضٍ، فإذا رضي عنه رضي بدينه فصار من أهل ملته وهو لا يشعر، وأكثر الناس يفطن للمعصية ووسائلها ولا يفطن للشرك ووسائله، ولما نهى الله عن موالاة

. . . .

24) سورة الأنفال : آية رقم 73 .

25) سورة المائدة : آية رقم 51 .

26) سورة المجادلة : آية رقم 22 .

أعدائه من الكفار والمشركين وأباح التقية مع الإكراه قال : {ويحذركم الله نفسه} (27) وهذه من أعظم الوعيد والتهديد لمن تدبر كتاب الله وعقل عن الله أمره .

نعم خف أمر أهل الملل عندنا لما سمعنا بمن جاسوا خلال الدين، وهموا باختلاس عقائد المسلمين، وأدخلوا الشبه ليصدوا بها الناس عن الحق الواضح المستبين، من أحسائي ذي غل وفارسي مضل، فتقربوا إلى الله تعالى بالبعد عن داعي الشبهات، واطلبوا علم التوحيد بدليله من البينات . قال السلف : إن الله يحب الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند ورود الشهوات، {وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين} (28) واقبلوا نصيحة مشفق بالمسلمين .

من أسباب نجاة الأمة بالمعروف والنهي عن المنكر :

وهنا مقام آخر وهو مقام استجلاب النعم واستدفاع حلول النقم، ولا يحصل إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد السفية . وقد ذم الله من ليس فيهم بقية ينهون عن الفساد في الأرض، فقال جل من قائل : {فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين} (29) وقال تعالى : {أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس} (30) الآية ، وقال : {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} (31) فدلت الآيات على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه لا نجاة إلا لمن قام بذلك، وإنّ اتباع الشهوات وإيثار اللذات يوجب الكون في جملة المجرمين، والآيات في هذا المعنى والأحاديث أكثر من أن تحصر، ومن كان الله وحده مراده ومعبوده ومحبوبه انقاد لأوامره ونواهيه ولم يداهن أحداً فيه .

. . . .

27) سورة آل عمران : آية رقم 28 .

28) سورة الأنفال : آية رقم 1 .

29) سورة هود : آية رقم 116 .

30) سورة الأعراف : آية رقم 165 .

31) سورة آل عمران : آية رقم (104).

وفقنا الله وإياكم لشكر نعم الله، والصبر على طاعته، والبعد عـن موجبـات غضـبه وعقابـه، وجهـاد النفس عداوة أعدائه، ومحبة أحبابه، وصلى الله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته مـن خلقـه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

من أحكام الهجر المشروع

وسئل عن الهجر إلى آخره، فأجاب : الهجر المشروع قد قام الدليل عليه وأشار جل من السـلف إليـه، وهو مراتب وله أحوال وتفاصيل على القلب واللسان والجـوارح، قـال الله تعـالى عـن الخليـل عليـه السلام : {وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي} (32) وقال تعـالى عـن أصـحاب الكهـف {وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله} (33) وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة وقصـتهم مشهورة، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الهدي في فقه القصة ما يكفي .

وأصل الهجر الترك والفراق والبغض، وشرعا : ترك ما نهى الله عنه ومجانبته والبعد عنه، وهـو عـام في الأفعال والأشخاص وهو في المشركين ومن لاذ بهم واستحسن ما هم عليـه وخـدمهم وازدرى أهـل الإسلام أعظم، لأن قبح الشيء من قبح متعلقه وهذه الجملة فيها أقسام ولها تفاصيل .

منها هجر الكفار والمشركين، والقرآن من أوله إلى آخره ينادي على ذلك ومصلحته تمييز أولياء الله من أعدائه، وقريب من هذا هجر أهل البدع والأهواء، وقد نص الإمام أحمد وغيره من السلف على البعد عنهم ومجانبتهم وترك الصلاة عليهم، وقـال : أهـل البـدع إن مرضـوا فـلا تعـودهم وإن مـاتوا فـلا تشهدوهم . فتجب مفارقتهم بالقلب واللسان والبدن إلا من داع الدين مجاهد عليه بالحجة مـع أمـن الفتنة، قال تعالى : {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيـات الله يكفـر بهـا ويسـتهزأ بهـا فـلا تقعدوا معهم} (34) الآية، والآيات والأحاديث وكلام العلماء في هذا كثير .

. . . .

32) سورة مريم : أية رقم 48.

33) سورة الكهف: آية رقم 16.

34) سورة النساء : آية رقم 140.

قال بعض المحققين ويكفي العاقل قوله تعالى بعد نهيه عن مولاة المشركين : {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ويحذركم الله نفسه} (35) الآية . وقد حكى ابن كثير رحمه الله تعالى الإجماع على أن تارك الهجر عاص مرتكب محرما على ترك الهجر ولا يكفى بغضهم بالقلب بل لابد من إظهار العداوة والبغضاء، قال تعالى : {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده} (36) فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان حيث قال : {وبدا بيننا} أي ظهر، هذا هو إظهار الدين فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهاراً، والمفارقة بالبدن، ومعنى العداوة أن تكون في عدوةٍ والضِّدُّ في عدوةٍ أخرى،

كان أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان والبدن وقلب المؤمن لا يخلو من عداوة الكافر وإنما النزاع في إظهار العداوة فإنها قد تخفى لسبب شرعي وهو الإكراه مع الاطمئنان، وقد تخفى العداوة من مستضعف معذور عذره القرآن، وقد تخفى لغرض دنيوي وهو الغالب على أكثر الخلف، هذا إن لم يظهر منه موافقة، ودعوى من أعمى الله بصيرته وزعم أن إظهار الدين هو عدم منعهم ممن يتعبد أو يدرس دعوى باطلة، فزعمه مردود عقلاً وشرعاً، وليهنَ من كان في بلاد النصارى والمجوس والهند ذلك الحكم الباطل لأن الصلاة والآذان والتدريس موجود في بلدانهم، وهذا إبطال للهجرة والجهاد وصد للناس عن سبيل الرشاد .

والثاني مسلم ترخص لنفسه وآثر دنياه واختار أوطانهم لعذر من الأعذار الثمانية، فهجر هذا الصنف من الناس هو من باب هجر أهل المعاصي الذي ترجم له البخاري وغيره، ولا يهجر هجر الكفار بل له حقوق في الإسلام منها مناصحته والدعاء له إلا أنا لا نظهر له محبة وملاطفة كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، بحيث إنه لا يرى له ذنباً ويغتر به غيره، وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة مع

. . . .

35) سورة آل عمران : آية رقم 30 .

36) سورة الممتحنة : آية رقم 4 .

إيمانهم، وأجلى عمرُ صبيغاً إلى وطنه، وأمر بهجره ونهى الناس عن كلامه، ولم يزل الصحابة رضي الله عنهم يهجرون في أقل من هذا، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي والدار قطني والطبراني من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أنا بريئ من مسلم يقيم بين ظهراني المشركين" (37) وأخرجه أيضاً ابن ماجه ورجال إسناده ثقات وله شاهد من حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً : "لا يقبل الله من مسلم عملاً أو يفارق المشركين" (38) أخرجه النسائي، وحديث سمرة مرفوعاً : "من جامع المشركين" (39) إلى آخره رواه أبو داود . ويشهد لصحة هذه الأحاديث قوله تعالى {فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم} (40) فنحن نتبرأ مما نبرأ منه رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ونجانبه شاء العاصي أم أبى .

وقد ذكر محيي السنة البغوي كلاما يحسن ذكره ههنا قال : فأما هجر أهل العصيان وأهل الريب في الدين فيشرع إلى وأن تزول الريبة عن حالهم وتظهر توبتهم، قال كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك : "ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا" وذكر خمسين ليلة، وجعل محمد بن إسماعيل رحمه الله حد التبين توبة العاصي، وقال عبد الله ابن عمر : لا تسلموا على شارب الخمر، وقال أبو الدرداء : لن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتا، انتهى كلامه رحمه الله .

. . . .

37) أخرجه أبو داود،كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون : (3/ 45)برقم (2645)،وأخرجه الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين : (4/ 155) برقم (1604) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير : (4/ 114) برقم (3836) .

38) أخرجه النسائي، كتاب الزكاة باب من سأل بوجه الله عز وجل : (5/ 83) برقم (2568) .

39) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك : (3/ 93) برقم (2787) .

40) سورة غافر : أية رقم 5.

والأصل الجامع لهذا أن معرفة استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد خوفاً ورجاء وإجلالا ومحبة وتعظيما لا تبقي في القلب السليم محبة لأعدائه وموادة، لأن المحبة أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، فلما غلب على الناس حب الدنيا وإيثارها أنكروا هذا ونسوا ما كانوا عليه أولاً {وجادلوا بالباطل ليحضوا به الحق} جهلا منهم بحقيقة الإسلام ولوازمه وقواعده العظام، ولو لم يكن في هذا إلا سد الذرائع المفضية إلى عقد المصالحة بين المسلم والمشرك لكان كافيا، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم وإيثار الدنيا فتح بعض المنتسبين أبواباً على حصن الإسلام إيثاراً لموافقة العوام وليت هؤلاء احتاطوا لأديانهم بعض ما احتاطوا لرياساتهم وأموالهم وما أحسن ما قيل :

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا عض العدو ساعدي
فدهيت منك بضد ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد

وأما من يسافر إلى بلدان المشركين للتجارة فهؤلاء إن لم يصدر منهم موالاة ومداهنة وملاطفة للمشركين والمرتدين فهم أخف حالا ممن تقدم ذكرهم، وهم مشتركون معهم في التحريم متفاوتون في العقوبة، لأن الإقامة تصدق على القليل والكثير والحكم منوط بالإقامة والمجامعة في النصوص، لكن كلما خفت المفسدة خف الحكم ، وقد يكون المسافر أخبث من المقيم، وشاهدنا من فسقة المسافرين من أهل القصيم وغيره من المنكرات العظيمة ما لا يحصى من ترك الصلاة، وشرب المسكرات، وتحسين طرائق المشركين، والطعن في أهل الدين ما لا يحكم لأكثرهم معه بإسلام، حتى أن الترك وبعض أهالي مصر يتحاشون من فعل فسقة نجد، ولا شك أن بغض هذا الصنف ومقته والنفرة منه هو عين المصلحة، وليس هجر هذا الجنس من الهجر المندوب بل من الواجب، لأن المفسدة عظمت بهم، فهم ومن يترخص لهم من المنتسبين أعظم بلية من العدو والبعيد .

والقاعدة الكلية في هذا ترجيح ما يفضي إلى ضعف الشر وخفته وإعزاز الحق وقمع الباطل وارتداع المخالف . قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه القاعدة : ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يتألف أقواماً ويهجر آخرين، ولبعضهم شعراً :

صعبت تكاليف الشريعة فانثنى وسطا عليها كل خب لاه

فاشدد يديك بحبل ملة أحمد   لا تخدعن بمنصب أو جاه

واسلك طريق اللطف في تبليغها   متجردا فيها لوجه الله